

البعد الديني في الفكر الإصلاحى

لعبد الحميد بن باديس

معط الله فتية
جامعة تلمسان- الجزائر

ملخص:

إن الإصلاح عند عبد الحميد بن باديس معادل للبعث الحضاري الشامل فهو حركة إيجابية مقاومة للفساد، سواء فساد المبادئ والقيم، أم فساد السلوك والممارسات.

لقد شغل الإصلاح الديني في منظومة عبد الحميد الإصلاحية حيزا كبيرا، كون أن ابن باديس يعد بالدرجة الأولى مصلحا دينيا ومرشدا أخلاقيا، وفقها مجتهدا في استنباط الأحكام والمقاصد الشرعية، ولهذا اخترت بقدر المستطاع الاهتمام بهذه الجوانب الدينية مبرزة آفاق مشروعه النهضوي القائم على جدلية الأصالة والمعاصرة، وأن أبرز ما انطوى عليه منهجه التجديدي من علاقات التقابل بين ثنائيات كبيرة، الإصلاح والطريقة العقل والنقل، العلم والأخلاق، التفكير والاجتهاد، وما إلى ذلك من ثنائيات كانت محور مسيرته الإصلاحية.

لقد اعتبر ابن باديس حرية العقيدة أساس الحريات كلها، فهي تقتضي تحرير النفس والفكر والضمير وبعدها تحرير البدن لإنجاز الأعمال الدنيوية والأخروية وأكد ذلك في قوله: "وإذا تحررت أرواحنا وعقولنا فقد حررنا كل شيء"¹.

وحق يقضي ابن باديس على فساد الممارسات والسلوك، بين معاني الحرية في الشريعة وبأنها تُضبط بأحكام وقواعد أخلاقية أساسها الأخوة والعدل والنظام والتسامح بين البشر، خلافا لما قامت عليه الأديان الأخرى.

مقدمة:

لقد أدرك ابن باديس أن للإصلاح الدينى مكانة بالغة فى النهوض بالأمة، وبعثها إلى مصاف الحضارة الحقيقية، فكان يجاهد فى هذا المضمار جهادا كبيرا، امتد طوال حياته، يدافع عن الإسلام وأصوله، ملحا فى الوقت ذاته على فتح أبواب الاجتهاد أمام العلماء والفقهاء، وبالفعل فقد سجل هو ورفقاؤه فى هذا الميدان مواقف مشرفة، باتت خادمة الدين فى الجزائر.

ولدراسة هذا الموضوع يمكننا طرح الإشكالية التالية: كيف استطاع ابن باديس أن يزاوج بين الأصالة بمفهومها الدينى كقاعدة، وبين الحداثة والمعاصرة كهدف فى منظومته التفكيرية؟

وقبل الإجابة على هذه الإشكالية وتحليل ما انطوت عليه من أبعاد وجوانب حضارية فى مجال الإصلاح الدينى الذى سعى ابن باديس إلى بنائه على أسس وثوابث، تجلت فى الرجوع إلى الأصولين، القرآن والسنة والتنظير لمبدأ الاجتهاد، والتركيز على دروس التفسير واستنباط الأحكام الشرعية، كان لابد علينا من تحديد مفاهيم لها علاقة بالإنسان الذى سعى ابن باديس إلى توجيهه وإرشاده وبنائه بناء روحيا وفكريا يتماشى وحياته العاجلة والآجلة، وأعماله التى هى جارية فى الإصلاح على حسب تفكيره، ومنجزاته التى ضمن بها الرقى والنهوض...، فما هو الفكر؟ وما هو الإصلاح؟

1- مفهوم الفكر:

مما لاشك فيه أن كل حضارة هى ثمرة للفكر الإنسانى الذى يتطور ومتطلبات الحياة، فما هو تعريف الفكر فى اللغة وفى الاطلاق؟

تعريف الفكر لغة: هو إعمال الخاطر فى الشيء، يقال رجل فكير أى كثير التفكير أو كثير التفكير والتأمل².

وهو استعمال العقل لإدراك العلوم والمعارف، والتفريق بين الحق والباطل، إنما يعلم الفرق بين هذا وذاك من له لب وهو العقل³ وهذا ما تؤكد الآية الكريمة: " قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ " الزمر: ٩

تعريف الفكر اصطلاحاً: أما عن معنى الفكر اصطلاحاً، فنستخلصه من خلال ما جاء به ابن خلدون في مقدمته، فهو يقول "أن الفكر تميز به البشر عن الحيوانات، واهتدى به لتحصيل معاشه، والتعاون عليه مع أبناء جنسه، والنظر في معبوده، وما جاء به الرسول من عنده، فصارت جميع الحيوانات في طاعته وملك قدرته، وفضله على كثير من خلقه"⁴.

فابن خلدون جعل للعقل ميدانا وللشرع ميدانا آخر، فلا يمكن للعقل أن يستقل بالمعرفة المطلقة أو يصل إلى الهداية الصحيحة، دون أن يهتدي ويتصبر بنور الشرع، بل هو عاجز عن إدراك الحقيقة إذا لم يستعن بوحى الله تعالى، قال عز وجل " وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " النحل: ٧٨

لقد فصل ابن خلدون بين تفكيرين، هما العلوم العقلية وأداة تحصيلها هي الحواس والعقل، أما العلوم النقلية وسبيلها إلينا هو الوحي⁵، وينقسم الفكر الى ثلاثة مراتب وهي:

الفكر العلي: وهو الذي يستعمله الإنسان للضرب في الأرض للحصول على حاجياته اليومية، وهنا يقول ابن خلدون "ومنها السعي في المعاش، والإعتماد في تحصيله، واكتساب أسبابه، فهداه الله إلى التماسه وطلبه"⁶، وقوله تعالى " قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى "طه: ٥٠

الفكر الإجتماعي: وهو ما ينظمه الانسان من علاقات اجتماعية على شكل ممارسات أخلاقية وسلوكية.

الفكر النظري: هو الذي يستعمله الفرد في إدراك العلوم وبه يتميز الانسان عن الحيوان⁷.

وبعد كل ما سبق نستنتج أن الفكر صفة سامية ميز الله بها بني البشر عن سائر المخلوقات الحية، للتدبير والتأمل ومعرفة الأسباب واستخلاص النتائج.

2- مفهوم الإصلاح:

تعد كلمة الإصلاح من أهم ما حوته الحضارة العربية الإسلامية وقد تفتنت في شرحها وتحليلها كتب ومعاجم عديدة.

لغة: كلمة مشتقة من الفعل، صَلَحَ، أَصْلَحَ، صَلَحَ، وهو تغيير حالة الفساد، أي إزالة الفساد عن الشيء، ويقال أيضاً، "هذا يصلح لك أي يوافقك ويحسن بك"⁸.

وجاء في لسان العرب: "الإصلاح نقيض الفساد، وأصلح الشيء بعد افساده، أقامه⁹، وأصلح في عمله أو أمره، أتى بما هو صالح ونافع أي أزال الإفساد¹⁰."

وإصلاح الفساد يحتاج إلى عمل منظم ومدروس وقد أوصى القرآن في كثير من الآيات بالإصلاح ونشره بين الناس ومن الآيات التي اتخذها المصلحون شعاراً لحركاتهم، قوله تعالى "... إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ" هود: ٨٨

والمعنى المقصود أن الفوز في أصابة الإصلاح، وتعميمه بين الناس يتوقف على التوفيق من الله

وحده.

اصطلاحاً:

هو ما طالبت به الحركة الإصلاحية في مشرقها، ومغربها، "إن الإصلاح حركة إيجابية، مضادة ومقاومة للفساد عامة، سواء في ذلك، فساد المبادئ والقيم، أم فساد السلوك، والممارسات"¹¹.

وكلمة الإصلاح ترتبط بالموضوع المراد اصلاحه، فنقول إصلاح اجتماعي، سياسي، وديني،

وثقافي

والإصلاح عند ابن باديس فهو أكثر شمولية، لأنه يربط بين الفكر والعقيدة، وبالواقع

والمجتمع¹².

ونستنتج من أن الإصلاح، ينبع عن فكر سديد، ووعي كامل وشامل للحياة، ونقد أوضاعها

وأحوالها، ثم إعادة بنائها من جديد ليعم الخير والفلاح.

الجوانب المميزة لفكر عبد الحميد بن باديس الإصلاحى:

إن العيشة التي عاش فيها ابن باديس، والتيارات الفكرية التي كان يصارعها، والضغوطات

الاستعمارية التي نالت منه ومن شعبه صنعت منه شخصية قوية بإسلامها، متطورة في تفكيرها،

شخصية تجمع في تفكيرها بين الاهتمام بالماضي، والتطلع إلى المستقبل بين الأنكفاء على الذات

والتفتح على الغير،... بين الإهتمام بالتراث والإقبال على العلوم المعاصرة وبكلمة جامعة بين

الأصالة والمعاصرة¹³.

- وسنحمل بعد هذا التمهيد بعض خصائص ومميزات فكر ابن باديس:

1- النزعة العلمية والمعرفية: ينطلق ابن باديس في نزعته العلمية من مرجعية أساسها الإسلام، الذي يجعل لكل شيء سنا كونية لا تتبدل ولا تتأخر، " سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا " الأحزاب: ٦٢

والنزعة العلمية التي أسس عليها ابن باديس منهجه في الإصلاح، قائمة في مبناها وأصولها وكل قضاياها على العلم الحقيقي، المحيط بالانسان والكون والحياة¹⁴، فقد كن يدرك ما يقول ويعي ما يفعل، "فكان يستشهد بالعقل ويعتضد بالعلم، ويستنصر بالوجدان ويحتج بأيام الله في الأمم الخالية"¹⁵.

وبهذا فقد أدرك عبد الحميد التلازم والتوافق بين العلم والدعوة.

2- النزعة الواقعية: إن فكر ابن باديس تطبعه فلسفة واقعية، ملتزمة بحقائق دينية، و"الفلسفة العملية يستطيع أن يترجمها الانسان إلى واقع الحياة، ويعيش حقائقه الفلسفية التي يتطابق فيها القول مع الفعل، والاعتقاد مع السلوك، ويتكامل فيها التصور النظري مع الممارسات العملية...، ويكون منطلقها واقع المجتمع وأساسها روح الإسلامى وأصوله"¹⁶.

ويتبين لنا أن تفكير ابن باديس، تفكير عقلاني متفتح من جهة وسلفي ملتزم من جهة ثانية، والسلفية عنده تعني اتباع منهج، رسمه الإسلام، وسار عليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصحابته - رضوان الله عليهم - والنهج الذي اتبعه الأئمة المجتهدون، الذين فهموا حقائق الإسلام واستلهموها في اجتهاداتهم وأحكامهم في معالجة الأمور الحياتية¹⁷.

ونخلص إلى أن الطريقة المعتمدة هي المزاوجة بين التفتح العقلي على الحياة المعاصرة والالتزام بالأصول الدينية الصحيحة، وهذا تفكير إسلامي محض.

3- النزعة العملية: لقد أعطت هذه النزعة لحركة ابن باديس التجديدية بعدا حضاريا، فقد جسد فكرة المسؤولية في سلوكاته دعوة وعملا، "كانت عملا يقدم عليه قبل أن يذكره للناس كانت تطبيقا سلوكيا وفعليا، تلاشت خلالها مصلحته الشخصية، وبرزت مصلحة الأمة والوطن، كانت بانسبة إليه واجبا لا مناص منه...، وهي مسؤولية سياسية إصلاحية، واجتماعية أخلاقية، ودينية"¹⁸.

والغاية من هذه المسؤولية، هي تغيير الواقع المؤلم والوصول إلى وضع يشعر فيه الفرد بقيمته

وحريةته.

اهتم ابن باديس بتأليف الرجال القادرين على الإصلاح والتغيير، قال: "ليس اليوم بحاجة إلى تأليف الكتب بقدر ما هو بحاجة إلى تأليف الرجال...، هب أي انصرفت إلى التأليف وانقطعة عما أنا اليوم بصدده من نشر العلم، وإعداد النشء، فمن يقرأ كتيبي وتألفني؟ مادام الشعب في ظلمات الجهل والامية، إن إعداد معلم واحد كفاء يتصدى لمحاربة الجهل الفاشي في ربوعنا لخير لمجتمعنا من ألف كتاب...، تحفظ في خزائن إلى أن تبيد وتبلى"¹⁹.

فهدف الشيخ هو تكوين بناء النهضة ودعاة الإسلام لترسيخ مقوماتنا الروحية والثقافية. فعلى هذه الروح الإيمانية انطوى تفكير العلامة، واستطاع أن يغرسى معاني الإخاء والحب والتعاون في تلامذته.

إن الفائدة المرجوة، من معرفة هذه النزعات في منظومة ابن باديس الإصلاحية، تمكنا منتصور الأبعاد والآفاق، التي سطرها الشيخ في مشروعه النهضوي، ونرى أنها تعددت، وشملت كل مجالات الحياة، الاجتماعية، والتعليمية، والاقتصادية، إلآ أننا، سنصب اهتمامنا على البعد الديني، الذي يبقى دائماً محور التفاعل الحضاري، وعصبه الرئيسي.

كانت الجزائر في وضع، يهدد كيانها بالذوبان، والفناء لأن الاستعمار الصليبي، عمل على محو الإسلام لأنه دين القوة، والدافع إلى الحرية، والنجاة.

وكي يدافع الإمام عبد الحميد عن حركته الإصلاحية، ودعوته إلى الله، اضطر إلى إثبات شرعية القيام بها، واستنباط أحكامها، وأصولها، وأركانها، ومنهجها المبين في الأصلين القرآن والسنة.

لقد كان لثورة الإصلاح الديني أثر بالغ في "النفوس والعقول، أخرج الجزائر من سباتها الطويل، وما صاحبها من شلل عام للطاقت إلى نور الصحوة، الدافعة إلى الانطلاق والحياة"²⁰.

إذ يقول مخاطبا الشعب الجزائري: "... وهورب فيكم الإسلام، حتى ظن قد طمست أمامكم معالمه، وانتزعت منكم عقائده، ومكارمه، فجئتم بعد قرن، ترفعون علم التوحيد، وتنشرون من الإصلاح لواء التجديد، وتدعون إلى الإسلام كما جاء به محمد -صلى الله عليه وسلم- لا كما حرفة الجاهلون، وشوّهه الدجالون، ورضيه أعداؤه"²¹.

لقد دعا ابن باديس أئمة الإصلاح إلى التمسك بأصول الإسلام، وأخذ مبادئه، وحقائقه من مصادره الأولى بعيدا عن التشويه والتحريف، كما يقر بأن الدين منهج الحياة السعيدة، ويتضح في قول ابن باديس "الإسلام عقد اجتماعي عام فيه جميع ما يحتاج إليه الانسان في جميع نواحي الحياة لسعادته ورفيه...، ولانجات للعالم مما هو فيه إلى بإصلاح عام على مبادئ الإسلام".²²

وبهذه النظرة الشاملة، استطاع ابن باديس أن يكشف عن عناصر القوة الحقيقية للأمة الجزائرية واضعا بذلك منهجه الذي يدعو إلى:

مبدأ التأصيل: قامت دعامة الشيخ عبد الحميد على دعامتين أساسيتين هما: الكتاب والسنة وكان شعاره في ذلك "لا يصلح آخر هذه الأمة إلى بما صلح أولها" وهو العودة إلى منهج السلف وطريقتهم لأن ذلك هو العاصم من الزلل والانحراف وبخاصة في العقائد.²³

فابن باديس يرى بأن كل ما حدث للمسلمين من انحراف وضلال إنما كان بسبب البعد عن منهج السلف، وأصر على ضرورة الاعتماد فبالدعوة على مبدأ الجهاد بالقرآن ضد المنحرفين عن الحق امثالاً لقوله تعالى: "فَلَا تُطْعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا" الفرقان: ٥٢

ويظهر من ذلك بأن الرجوع إلى الطريق الصحيح إنما يكون بتطبيق ما جاء به القرآن والسنة النبوية قال - صلى الله عليه وسلم - "تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي"²⁴، وقد حدد ابن باديس خصائص المنهج النبوي فقال "وكانت دعوته المبنية على المحجة والبرهان، مشتملة على المحجة والبرهان فكان يستشهد بالعقل، ويعتقد بالعلم ويستنصر بالوجدان ويحتج لأيام في الأمم الخالية"²⁵.

وبعد تبين هذه الأدلة وشرحها يكفي على المصلح الداعي ان يراعي أحوال الحاضر ونفسية المتلقين فيخطبهم بما يحبون، ويتجنب ما يكرهون.

لقد ركز ابن باديس في قضية اصلاح العقيدة على مقاومة البدع وانحرافات التي شوهت عقيدة المسلمين، ويرى أن الذين تسببوا في جمود الفكر الإسلامي هم رجال الطرقية، فكانت سهاما صوبها الاستعمار في صدر شعبنا ليشوهوا بها العقيدة الصحيحة بما تنشره من بدع وانحرافات تؤثر بها في نفوس العامة والبسطاء وتقدم إسلاما زائفا لا ينهض بعزيمة مؤمن ولا يدعو إلى تربية الإرادة القوية، بل يدعو إلى التواكل والضعف والاستسلام.²⁶

ونجد مصلحن الواعى عبد الحميد يهاجم هؤلاء، بواسطة تعليم دينى عسرى بالعودة إلى مبادئ القرآن والسنة مدركا فى عمق، أن العقيدة هى كل شىء فى الانسان فإذا قويت، هيمنت على العقل والقلب، وصحة العزيمة، واتضحت الرؤية، وكان التخطيط سليما حكيما²⁷، ولهذا المطلب سعى الشيخ المصلح، ووقف مخاطبا المجتمع الجزائرى يذكره بمكاتبته وتاريخه العظيم قائلا "أيها الجزائرى التاريخى، القديم، المسلم العظيم كلمته من كلمات الله، وإرادته من إرادة الله وقوته من قوة الله..."²⁸.

فابن باديس يؤكد فى نداءاته على الإيمان الصحيح المبني على نبد التقليد الأعمى وتطهير التوحيد من الخرافات والبدع.

2- الاجتهاد ودوره فى البناء الحضارى:

لقد أدرك ابن باديس أهمية الاجتهاد فى عملية التجديد الحضارى، وأكد على أنه الآلية الفاعلة التى يتم عن طريقها خوض معركة النهوض بالأمة، ويبين أن هذا الاجتهاد يعتمد على خاصة النقد والانتقاء، وتقدير المصالح الذى يجب أن يكون سلاح العلماء والمسلمين اليوم فى تفاعلهم مع الحضارة الغربية، كما كان سلاح الأئمة المجتهدين الكبار فى العهود الإسلامية الزاهرة²⁹. يرى الشيخ أن الشريعة الإسلامية قادرة على مواجهة جميع التحديات الحضارية، التى تواجه الأمة الإسلامية لأن الإسلام يراعى المصالح الزمنية ويبنى أحكامه على تطوراتها، ويوكل إلى علمائه الراشخين فى فقه الكتاب والسنة، أن يراعوا لكل وقت أحواله، وأن يقيموا الموازين على أساس جلب المصلحة ودرء المفسدة³⁰.

إن تفقه ابن باديس فى القرآن والسنة، يدل على أنه لم يكن أقل شأن من أئمة الاجتهاد، ودعاة الانفتاح الحضارى على الحياة المعاصرة، فدعا إلى مسايرة العصر، والتفاعل مع منجزاته، والاستفادة منها من أجل المحافظة على الهوية الإسلامية المميزة للشخصية الجزائرية دون الوقوف فى دائرة الجمود، والانغلاق على الذات³¹، إلى أن يقول: "إذا أردت الحياة، فكن ابن وقتك، تسير مع العصر الذى أنت فيه، بما يناسبه من أسباب الحياة، وطرق المعاشرة والتعامل، كن عسريا فى فكرك، وفى عملك، وفى تجارتك، وفى صناعتك، وفى فلاحتك، وفى تمدنك ورقيك"³².

لقد تميز ابن باديس بالتدبر والحكمة، وبتهذيب الأخلاق والروح، وتوجيه العقل إلى المعارف التي تنفع المجتمع.

3- مجالس التذكير:

مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، وحديث البشير النذير، هو عنوان دروس في تفسير القرآن، وشرح الحديث النبوي الشريف، كان الشيخ ابن باديس يلقها في المسجد للعامّة وللخاصة، واتخذها مصدرا لجيل الثورة الجزائرية، ومبعث نهضة للإسلام، والعروبة.

قسم ابن باديس دروسه في التفسير إلى قسم علمي، وقسم عملي داعيا فيهما إلى تدبر معاني القرآن لأنها أفضل الأعمال إلى القلب، فهو موعظة تلين القلوب القاسية، وشفاء للنفوس المريضة في عقائدها وأخلاقها وأعمالها، وهو هادي يوصل إلى سعادة الدنيا والآخرة³³.

فجده قد خالف المفسرين المقتصرين على شرح وتحليل الآليات اللغوية، واتخذ منهج محمد عبده ونموذجا في التفسير التربوي، والاجتماعي، والنقد الديني، وكان معجبا بطريقته في التأويل، واقتدى به في وضع تفسير عصري يراعي قضايا المجتمع، ومطالب النهضة، واتخذ الآية والحديث موضوعا للدرس ومادة للتفكير والتأمل والاعتبار، وكانت طريقته في تبليغ حقائق الوحي والإعجاز تعليمه وظيفته بأسلوب تربوي، سهل ومباشر³⁴.

وبهذا فإن عبد الحميد المفسر، يتوخى التبسيط والتفهم لإيصال الحقائق مع استخدام الشرح والتحليل، والنقد والاستنتاج، ويعمر إلى تقريب المعاني بألفاظ ولغة سهلة وصریحة.

4 - استنباط الأحكام والمقاصد:

إن غاية ابن باديس من درس التفسير هي استنباط الأحكام والقاصد الشرعية التي جعلها هدفا له في كل نص مفسر. "فاعتمد التفسير بالرأي، والنظر، والاجتهاد في التأويل والقياس والتعليل، وربط الفروع بالأصول، ومسالك العلة في الفقه المالكي، لقد التزم قواعد فقه المذهب كحماية المصالح، ونبذ الذرائع ورفض الأحكام المبثورة والمنقطعة عن النص، والضعيفة الدليل والحجة، وكان منهجه الاستنباطي دائما في اتجاه التوفيق مع تطور العلم وقضايا العصر والمجتمع³⁵.

فانشغاله الدائم هو التذكير بحكمة القرآن وبيان مقاصده، وأحكامه والاقناع باتباع منهجه في الدعوة إلى التوحيد، وكان يخاطب العقول والأرواح، ويرشد الأمة للتفكير في القرآن وادراك قيمة ما ضيعت³⁶.

بهذه الطريقة التي اتبعها الامام في درس التفسير استطاع أن يجعل مجالس التذكير مناسبات للاجتهاد في فهم أدلة العقيدة واستنباط أحكام الشريعة وأصول الحضارة، وأثبت تزاوج العقل والعقيدة وأبطل الزعم القائل أن القرآن ضد التطور وحرية التفكير.

خاتمة دروس التفسير:

كان الشيخ ينهي درسه غالبا بخاتمة ارشادية بحيث فيها تدبر القرآن والسنة، وتطبيق حكمته في الحياة إقتداء بالسلف الصالح، ويحثهم على تحصيل العلوم الدينية والإسراع إلى التوبة وعدم اليأس والقنوط من رحمة الله وهذا هو حقا منهج الراشخين في العلم الديني.

خلاصة:

ونخلص من كل ما تقدم، أن الشيخ ابن باديس قد ركز في منظومته الإصلاحية على المجال الديني ورسم له في مشروعه النهضوي أبعادا وأفاقا.

لقد سطر برنامجا لتنظيم القيم الروحية والاجتماعية، معتمدا على المرجعية الصحيحة هي القرآن والسنة، فهما تتبدد الطريقة الشركية الباطنية، التي شوهدت عقيدة المسلمين.

كما يؤكد على نبذ التقليد الأعمى، ويعمل بالاجتهاد لأن القرآن صالح لكل زمان ومكان ويطرح التوفيق بين العقل والنقل والمزاوجة بين قيم الأصالة والمعاصرة، لأنه أدرك بعمق دور الاجتهاد في خوض معركة النهوض بالأمة والسير نحو محطات التحضر والرقى. ويحث العلماء المسلمين أن يتخذوه كسلاح في تفاعلهم مع الحضارة الغربية.

ومن المحاور الكبرى التي سعى إلى تحقيقها أيضا من خلال مجالس التذكير التمسك بالطريقة السلفية التي تعتمد على الذكر القلبي، والذكر اللساني والذكر العملي، محاولا تجديد منهج التفسير ببيان السنن الإلهية في آيات خلق الأكوان والانفس والعمران، واستنباط أصول النظام الأخلاقي، والاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي.

وبهذا أثبت الشيخ ابن باديس، بأن الإسلام دين علم، وقوة، وعزة، وسيادة، وحضارة.

الهوامش:

- 1- الشهاب، ج10، م11، ص548.
- 2- ابن منظور، لسان العرب، م2، دار صادر للطباعة والنشر، ط1-بيروت- لبنان، ت، د، ص120
- 3- ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، م4، بيروت- 2006، ص44
- 4- عبد الرحمان بن خلدون، صالبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج1، دار الحزم للطباعة والنشر بيروت- ط1، 2003، ص329
- المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- 2007، ص437.
- 5- الصغير بن عمار، "الفكر العلمى عند ابن خلدون"، المؤسسة الوطنية للكاتب- الجزائر- ط1984، ص3، ص15، 16
- 6- العبر، ص33، والمقدمة، ص55
- 7- عبد الله شريط، "الفكر الأخلاقى عند ابن خلدون"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع -الجزائر- ط1981، ص2، ص65، 67.
- 8- لويس معلوف، "المنجد فى اللغة والأدب"، المطبعة الكاثوليكية، بيروت- ط1927، ص1، ص445.
- 9- ابن منظور، ص295..
- 10- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ج1، ص520.
- 11- مجلة الإرشاد، السنة الأولى، العدد الرابع، رمضان/شوال 1410هـ، أبريل/ماي، 1990، ص28.
- 12- عمار بن مزوز، "عبد الحميد بن باديس ومنهجه فى الدعوة والإصلاح"، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو- 2010، ص68.
- 13- الإمام العربى التبسى، "مقالات فى الدعوة إلى النهضة الإسلامية فى الجزائر"، جمع وتعليق، شرفى أحمد الرفاعى، دار البعث للطباعة والنشر، الجزائر- ط1، 1404هـ/1981، ص188.
- 14- عمار بن مزوز، المرجع السابق، ص86.
- 15- الإمام عبد الحميد بن باديس "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير" ص124، 123.
- 16- عبد القادر فضيل، "إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس"، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1998، ص1، ص144.
- 17- المرجع نفسه ص145.
- 18- عمر بن قينة، "صوت الجزائر فى الفكر العربى الحديث (أعلام وقضايا ومواقف)"، ديوان المطبوعات الدامعية- الجزائر-، 1993، ص152
- 19- محمد الصالح الصديق، "الإمام ابن باديس من آرائه ومواقفه"، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع -الجزائر- ط1، 2007، ص71.
- 20- مجالس التذكير، ص13.
- 21- البصائر، السنة الثانية، العدد 83، 25 رجب 1356هـ/2 سبتمبر 1937م، ص261.
- 22- الشهاب، ج3، م12، ص163.
- 23- إبراهيم التهامى، "الجوانب العقدية فى جهود الإمام عبد الحميد بن باديس الإصلاحية"، دار قرطبة للنشر والتوزيع ص7.
- 24- أخرجه مالك فى موطنه، فى كتاب "القدر" (باب النهى عن القول بالقدر)، رقم3 ص899.
- 25- الشهاب، ج1، م11، ص5
- 26- محمد خير الدين "مذكرات"، ج2، ص105
- 27- مجلة الوعى، الإمام عبد الحميد بن باديس، "العدد1، (رجب/سبعان، 1431هـ/ جويلية 2010)، ص14
- 28- الشهاب، ج6، م12، ص315.
- 29- مجلة الموافقات، العدد5، ص143
- 30- محمد البشير الإبراهيمى "آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمى"، ج1، ص95
- 31- الموافقات، ص141

³²- عيون البصائر، العدد 71، ص 46

³³- مجالس التذكير، ص 9

³⁴- تركي رابح" الشيخ عبد الحميد بن باديس، جهوده في التربية والتعليم " ص 13

³⁵- الشهاب، ج 12، م 6، ص 719

³⁶- الإبراهيمي، مقدمة مجالس التذكير، ص 13